الأدب الحديث

المحاضرة الأولى

عوامل النهضة الأدبية و الفكرية في القرن 19.

تمهيد:

الحياة السياسية و الأدبية قبل عصر النهضة:

إن سوء الأحوال السياسية قبل العصر الحديث في ربوع البلاد العربية – و بالأخص مصر– كان بسبب، الفوضى التي صاحبت الحياة الاجتماعية و السياسية أثناء حكم المماليك و الباشا التركي، و قد انعكست هذه الفوضى بشكل واضح على الأدب شعره و نثره.

وسبب ذلك أن الحكام لم يكونوا ممن يتذوقون الشعر، و لا يشجعون عليه، و لذلك انصرف الشعراء الى أمور أخرى تمكنهم من الرزق .

يقول الدكتور حامد حفني داود في ذلك: « كان الشعراء قلة و كانوا شعراء شعب لا شعراء بلاط أو ديوان و ندر المجودون منهم و انحط الذوق الأدبي بسبب انتشار الألفاظ التركية في ثنايا اللغة العربية و لا سيما العامية ...لأن اللغة الرسمية في ذلك الوقت كانت تركية، و قد انتشر الكثير من ألفاظها [1]» في جميع مجالات الحياة ، فحرص الشعراء على تجويد ألفاظهم و تنميق عباراتهم حتى أصبح شعرهم عبارة عن حلى لفظية خالية، تنعدم فيها القيم الفنية و الجمالية.

و على العموم يمكن القول أن أدب هذه المرحلة قد اتسم بالضعف و التخاذل باستثناء بعض ما كان من النصوص الشعرية لشعراء المدرستين المشهورتين في ذلك الوقت هما المدرسة البكرية و المدرسة العلوية.

أما المدرسة البكرية، فهي نسبة إلى أبي بكر الصديق ، و من تعلق به، في حين أن المدرسة العلوية تنتهي الى علي بن ابي طالب و أتباعه، و كلاهما أكثر في تناول موضوعات التصوف و المديح النبوي و التفاخر بالأنساب و سير السلف .

أغراض وموضوعات الأدب عامة و الشعر منه بالخصوص – في تلك المرحلة– تتمثل في تصوير البيئة المصرية و ما أصابها من انحطاط و تخلف اجتماعي و فكري جراء انصراف الحكام عن الانشغال بالشعب و بمشاكله والانغماس في ترف الحياة و ملذاتها. و قد استغل بعض الدخلاء هذا الفراغ السياسي الرهيب، فراحوا باسم الدين و التصوف يوظفون الخرافات و الأباطيل و السحر لخداع العامة، و نتج عن هذه الأوضاع ركود تام للحركة الأدبية زمنا طويلا،تجمدت خلاله القرائح الحية، و بقي الشرق بعد الحروب الصليبية مغلقا على نفسه يسير في ظلمة دامسة

[1] – دحامد حفني داود ،تاريخ الأدب الحديث ،تطوره معالمه الكبرى مدارسه دص 14 الجزائر 1983.

من الجهل و الفقر الثقافي و قد أطلق عليها النقاد الفترة (المظلمة)، و تبدأ من سقوط بغداد في غزو هولاكو سنة1258م، كما يتفق جميع الدارسين، و تنتهي بدخول نابليون مصر 1798م.

استمرت الفترة حوالى ستة قرون، و لا شك أنها كانت مظلمة من النواحي الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية. و أن الشعر العربي تراجع في هذه الفترة المظلمة عما كان عليه سابقا و كان شعر هذه المرحلة يسير في اتجاه الصنعة الفنية الى حدّها الأقصى الذي أوصل إلى الانحطاط.

*** عوامل النهضة و مظاهرها:**

كان لابد من نور غريب ينير الأذهان و يرفعها الى مستوى المجاري الفكرية و الأدبية العلمية. و كان ذلك النور ينبعث شيئا فشيئا من احتكاك الشرق بالغرب. جرى هذا الاحتكاك في لبنان و مصر أولا، و قد كان في لبنان أقدم عهداً .

1 - احتكاك الشرق بالغرب.

ا – احتكاك لبنان بالغرب:

ظهر هذا الاحتكاك بنوع خاص في القرن 16 و ما يليه و هذا بتشجيع حركة البعثات الاوروبية الى الشرق و فتح مدارس بها الى جانب المدارس القديمة كمدرسة «عين ورقة» التي تعد أم المدارس الوطنية في هذه البلاد الى جانب مدرسة أخرى أسسها المعلم بطرس البستاني سنة 1863.

ب – احتكاك مصر بالغرب:

بعد الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798 و التي أسندت الى نابليون الذي أعد الحملة فأيقظ هذا الاحتلال مصر من سباتها العميق،و لاسيما أن نابليون قد ضم الى حملته طغمة من العلماء و أهل العقل و الصناعة، أنشأوا في القاهرة مدرستين لتعليم أبناء الفرنسيين المولودين بمصر، و أنشأوا « مجمعا علميا» على غرار المجمع العلمي الفرنسي. و أصدروا صحيفتين باللغة الفرنسية هما «بريد مصر» و هي تعد لسان حال الحملة و صحيفة« العشارة المصرية» و هي لسان حال المجمع العلمي[2].

2 – التعليم :

1- خضع التعليم أثناء حكم الأتراك لسياسة العثمانيين التي كانت تهدف إلى محاربة العلم و نشر الجهل ، لكي يتمكنوا من استمرار حكمهم ما عدا مصدرين كانا يخفق فيهما شعاع العلم :

الكتاتيب : و تقوم بتعليم القراءة و تحفيظ القرآن الكريم وقد ساهمت بقسط وافر إذ تخرجت منها جحافل الطلبة الذين بدورهم ساهموا في نشر الحركة التعليمية والفكرية الثقافية.

الأزهر الشريف موطن النور و المعرفة و القيادة الفكرية و الروحية للعالم العربي .

[2] - حنا الفاخوري – تاريخ الأدب العربي ط 10 ص 901 و ما بعدها المكتبة البولسية 1980..

الزيتونة فقد ساهم جامع الزيتونة بتونس في الحركة التعليمية وكان حصنا منيعا من قلاع الحفاظ على الثقافة العربية الاسلامية وكذا جامع القرويين فهو كذالك يعد نبراسا أنار رقعة مهمة من الوطن العربي وساهم في النهضة الحضارية للأمة العربية

2- بعد أن استقل مُحَمَّد على عن الحكم التركي عمل على نشر التعليم تحقيقا لأطماعه و آماله، فأنشأ المدارس العسكرية و الهندسية و الصناعية، ثم مدرسة للطب، و مدرسة للفنون، و أوفد بعثات إلى أوربا لتعود إلى التدريس في المدارس، و أغلقت هذه المدارس في عهد الخديوي عباس، و أعيد فتحها في عصر الخديوي عباس، و أعيد فتحها في عصر الخديوي إسماعيل، و أضاف إليها مدرسة دار العلوم ومدرسة الحقوق، و مدرسة السنية للبنات .

3- و في أثناء الاحتلال البريطاني لمصر عام 1882م خضع التعليم لسياسة الاستعمار ، حيث اقتصره دناوب الانجليزي على التعليم الذي يخدم الجهاز الحكومي، و وظائف الدواوين، ثم استقبلت مصر البعثات التبشيرية و التي كان هدفها القضاء على الشخصية العربية، و للتصدي لها أنشئت مدرسة القضاء الشرعي، ثم أنشئت الجامعة الأهلية 1908م، و الرسمية 1952م ، إلا أنها كانت مقيدة بالرسوم الجامعية بحيث لا يلتحق بها إلا أبناء الطبقة الغنية، و لا يجرؤ على الالتحاق بها أبناء الكادحين البؤساء .

4- و جاءت ثورة 23 يوليو 1952 م لتحطيم قيود التعليم القديمة فيصير مجانا حسب الكفاءة العلمية لا الدرجة المالية، و توسعت فيه فتعددت المدارس والمعاهد و الجامعات و الكليات، و مراكز البحوث و الدراسات العليا، و التعليم الأجنبي تحت إشراف وزارة التعليم العالي و البحث العلمي و التربية و التعليم، و الأزهر الشريف .

3 – الطباعة :

من العوامل التي أثرت في النهضة العربية الحديثة ظهور الطباعة في الشام،فقد تأسست أول مطبعة أمريكية ببيروت سنة 1834 ثم المطبعة اليسوعية سنة 1848. و قد كان لها اثر ملموس في النهضة الادبية في الشرق العربي .

أما في مصر فقد اشترى مُحَمَّد علي مطبعة نابليون التي أحظرها خلال حملته عليها و التي كانت نواة لمطبعة بولاق الشهيرة، ثم أنشئت بعد ذلك عدة مطابع كان لها الفضل في طبع الكثير من الكتب و إعادة إحياء التراث العربي وبعث نتاجه الفكري العريق و تمكين العامة من امتلاك الكتب باثمان يسيرة .

4 – الصحافة :

كان لتأسيس الطباعة و تقدمها فضل في ظهور الصحافة و تقدمها، و كانت مصر المهد الأول للصحافة العربية فقد أنشئت سنة 1828 بإنشاء «الوقائع المصرية».

إلا أن الصحافة العربية لم تقم في الحقيقة إلا على أيدي اللبنانيين، الذين اهتموا بها بمجرد أن ترامى اليهم خبرها و ما لها من الاهمية، و قد ارتقت الصحافة المصرية على يد اللبنانيين الذين هاجروا الى مصر في العهد الحميدي(السلطان عبد الحميد)؛ فأنشأ سليم بشارة جريدة «الاهرام» و تبعتها جرائد أخرى « كالمحروسة» و « المقطّم» و «المؤيد» و« اللواء» هذا بالإضافة الى ظهور جرائد أخرى في كل من بغداد و سورية. أما المجلات العربية فقد ظهر أقدمها في مصر و هو «اليعسوب» (1865م) .

*** أثر الصحافة في الفكر و اللغة و الأدب :**

ا – عملت على تعميق الفكر و إيقاظ الوعي القومي .

ب – أثرت في الرأي العام و وجهته إلى التقدم في شتى المجالات

ج – خلصت الأسلوب الأدبي من قيود الصنعة و أثقال الزينة .

د – أسهمت في ازدهار النقد الأدبي و السياسي و الاجتماعي .

هـ – ربطت الشعب العربي بتيارات الفكر العالمي و الجديد فيه .

5 – المجامع العلمية و الأدبية:

من العوامل المؤثرة في النهضة الحديثة المجامع العلمية و الأدبية و الجامعات .

لعل أول مجمع علمي أسس في الشرق العربي بعد فترة الانحطاط المظلمة، هو المجمع العلمي الذي أسسه نابليون في مصر من 48عضوا و قد قام المجمع بإجراء التجارب العلمية في الطبيعة و الكيمياء، و مكن كبار المصريين من مشاهدة بحوثه و تجاربه، فكان هؤلاء يبدون دهشتهم لما تحقق من نتائج مخبرية على علوم الطبيعة التي كانوا يجهلونها من قبل، ثم تأسست مجامع أخرى كالذي بدمشق وبيروت، و بغداد.

6– المكتبات :

كان لها دور كبير في نهضتنا الأدبية الحديثة ، و قبل ذلك ظل التراث مكدسا في خزائن سلاطين تركيا أو بعيدا في مكتبات أوربا و استطاع علي مبارك أن يصل العالم بتراثه فأنشأ – دار الكتب 1870م – و ضم فيها ما كان مبعثرا في المساجد والتكايا، و سراديب القصور، حتى أصبحت بعد ذلك أكبر مكتبات الشرق .

هذا بالإضافة إلى المكتبات الأخرى في البلاد العربية مثل الزيتونة بتونس، و الظافرية بدمشق، و القرويين بالمغرب و مكتبة المدينة المنورة و مكتبة مكة المكرمة، ثم مكتبة الجامع الأزهر و معاهده، و المكتبات الجامعية و مكتبات وزارة التربية و التعليم في مدارسها .

كل هذه المؤسسات كانت موارد ينهل منها جيل هذا العصر الحديث الذي عرف كيف يعمل و ينفض عنه غبار الأيام المظلمة، فراح يؤلف و ينتج و يؤسس الأندية الثقافية و الجمعيات العلمية .

7 –حركة الترجمة و التأليف:

من العوامل المؤثرة في الادب الحديث (الترجمة و التأليف و النشر)، وكان نشاط حركة الترجمة في مصر كبيرا من خلال قيام مُحَمَّد علي بإرسال البعثات الى أوربا رغبة منه في إيجاد طبقة من المقتدرين على تعليم المصريين العلوم و المعارف الحديثة، ليستطيع أهل البلاد دراستها بلغتهم.

و لذلك فقد قام بتأسيس مدرسة الألسن1836 وعهد بالإشراف عليها لرفاعة الطهطاوي .

و كان للمدارس التبشيرية و الأجنبية في الديار الشامية أثر في إيصال الثقافة الغربية الى السوريين و اللبنانيين و كان اساتذة هذه المدارس في الغالب غربيين، و لهذا استطاع من يرتاد هذه المدارس أن يتصل بالثقافة الغربية بصورة

مباشرة، كما استطاع خريجوها ممن سافروا لاتمام تحصيلهم في أوروبا أن يكونوا أكثر تفهما للثقافة الغربية و تعصبا لها ممن قرؤوها في الكتب المترجمة .

أما التأليف ، فقد كان بطيئا، و أغلب الكتب التي ظهرت في هذا العهد كانت كتبا مترجمة في شتى العلوم و الفنون، و لم تؤلف إلا كتب قليلة تتعلق بالرحلات،أما الكتب العلمية ، فقد كان أغلبها ترجمة . و يجدر بالذكر ان نهضة التاليف و الترجمة كانت تتجه في مصر منذ بدئها اتجاها علميا بينما اتجهت في الديار الشامية منذ بدئها وجهة أدبية.على أن ثمة اليوم نهضة شاملة في مختلف البلاد العربية ، في حركة الترجمة و التأليف حسب المفاهيم السائدة في بلاد الغرب.

*** أثر الترجمة في النثر الأدبي :**

كان للترجمة أثر كبير في النثر الأدبي وفنونه، حيث أهملت الفنون القديمة كالمقامات و الرسائل، وظهرت المقالة الأدبية و الأقصوصة و القصة والمسرحية و فن التراجم، و فن السيرة .

و لها أثر كبير في مذاهب النثر، فقد ظهر المذهب التحليلي: الذي يعتمد فيه الكتاب على التحليل و التعليل مستمدين فكرهم من الدراسات النفسية – و المذاهب الاجتماعية و الاقتصادية .

و ظهر المذهب الفلسفي و يتجه الى ذكر البراهين و الأدلة و المقدمات و النتائج.

و ظهر المذهب العلمي: الذي يقوم على البحوث العلمية المنظمة القائمة على الحقائق و الأفكار و تنسيقها معتمدة على الملاحظات و التجارب و الاستنتاج . و للترجمة أثر في الأسلوب حيث تخلص كتاب النثر من السجع و الصنعة المتكلفة، و جنح إلى السهولة و الوضوح في الألفاظ، و الاهتمام بالمعنى و الدقة في التعبير .

أثر الترجمة في الشعر :– و ظهر أثرها في فنون الشعر و أغراضه ، فاختفت الأغراض القديمة من المدح الشخصي و الهجاء الشخصي و الرثاء الشخصي، و ظهرت فنون جديدة و هي الشعر المسرحي و الشعر القومي، والملاحم الشعرية .

و ظهر أثرها في مضمون الشعر و شكله، فقد ظهرت التجربة الشعرية و الوحدة العضوية، و العمق في المعنى، و دقته، ومن حيث الشكل الذي تنوعت فيه الأوزان و القوافي و تجلت الصورة الأدبية في أجمل صورها

هذه مجموعة من العوامل الموضوعية و الذاتية التي أسهمت في بعث النهضة الادبية الحديثة و التي كان لها عظيم الأثر في ظهور جيل من الأدباء الذين أسسوا لبناء حركة أدبية و علمية لا يستهان بها[3].

8– المسرح التمثيلي:

التمثيل هو عرض واقعة تاريخية أو خيالية على خشبة المسرح بواسطة أشخاص تنطبق أفعالهم و أقوالهم على حقيقة الواقع ، و قد نشأ الأدب التمثيلي العربي في لبنان، و كان من رواده مارون النقاش ثم انتقل الى مصر على يد اللبنانيين و السوريين ، وقد ارتقى على يدهم و اشتهر من فرقهم فرقة "يوسف وهبي" و فرقة "مُحَمَّد تيمور"، و من أشهر من ألفوا المسرحيات الشعرية "أحمد شوقى" و "سعيد عقل".

[3] - جودت الركابي – الأدب العربي من الانحدار الى الازدهار ص 260 و ما بعدها . د. م .ج 1985.

و لم يعرف المسرح التمثيلي في الشرق قبل القرن التاسع عشر، ثم نشأ على مراحل: –
ظهر المسرح التمثيلي في بيروت في منتصف القرن التاسع عشر.
عرضت أوبرا عايدة في مصر – بدار الأوبرا – بمناسبة افتتاح قناة السويس عام 1869م .
جاء على مصر سليم نقاش و أديب إسحاق و غيرهما ، بفرقهم ليقدموا روايات مترجمة كثيرة .
رجع جورج أبيض من ايطاليا ليؤلف فرقة للتمثيل في سنة 1914م.
ألف يوسف وهبي فرقته في 1923م و تتباعت بعد ذلك الفرق المصرية و بخاصة فرقة نجيب الريحاني .
ظهر كثير من رواد الأدب المسرحي مثل أحمد شوقي في مسرحياته الشعرية و عزيز أباظه و علي أحمد باكتير، و توفيق الحكيم.

أثر المسرح التمثيلي:

نشطت حركة الترجمة، وتعريب المسرحيات الغربية .
عمل المسرح على ازدهار الأدب المسرحي .
أصبح المسرح مدرسة شعبية لها عشاقها .
قام المسرح بتهذيب الذوق و صقله، و تعميق الوعي السياسي و الاجتماعي و النقد الأدبي، و عالج المشكلات الاجتماعية، و نقل إلينا الاتجاهات الجديدة و المذاهب الحديثة في المسرح الغربي الحديث .

9 – الإستشراق:–

أطلق الاستشراق على فئة من علماء الغرب، تخصصوا في دراسة لغة الشرق و علومه و تاريخه و تراثه، و مر الإستشراق بمراحل ثلاثة:–
مرحلة دراسة اللغة العربية و أدبها و فكرها، و ذلك منذ القرن العاشر الميلادي و قبل عصر النهضة .
و المرحلة الثانية ظهرت فيها أغراض المستشرقين من أهداف استعمارية و أخرى دينية تبشيرية، و جندت لذلك مدارس تُعلِّم اللغة العربية لتفهم عقلية أهلها، فيسهل عليم استعمار بلادهم .
وفي المرحلة الثالثة تيقظ الشرق لأهداف المستشرقين الاستعمارية و الدينية و تصدى علماء العرب لهم فحولوا اتجاههم لخدمة البحوث الفكرية و خدمة العلم و التاريخ والفكر الإنساني .

*** طرق الاستشراق :**

كان للمستشرقين مجالات مختلفة ينشرون فيها بحوثهم، و وسائل كثيرة لنشر نشاطهم و إنتاجهم العلمي و هي : الجمعيات، و معاهد الاستشراق التي جمعوا فيها ذخائر التراث الشرقي.
خزائن المحفوظات بالمكتبات الغربية، التي نشرت بحوثهم و منها : الجمعية الأسيوية بباريس 1820م، و الجمعية الملكية الأسيوية بلندن 1723م ، و مراكز الاستشراق في مدريد و روما – و موسكو ، و صقلية و غيرها.
في المؤتمرات الدولية التي كان يعقدها المستشرقون، حيث يلتقي فيها العلماء من شتى أنحاء العالم، كما حدث في مؤتمر باريس سنة 1873م، وفي آخر المؤتمرات في أمريكا من المؤتمر السابع و العشرين سنة 1967م.

– من المستشرقين:

بروكلمان و ليتمان من ألمانيا، و مرجليوث وجب من إنجلتراودي ساس و ماسنيون من فرنسا، و أمارى و جويدى من إيطاليا، و كراتشوفسكي و خالدوف من روسيا، و جيروهمان من تشيكوسلوفاكيا و غيرهم من مختلف بلاد أوربا.

أثر الاستشراق في الفكر و اللغة و الأدب العربي :

لا شك أن لهم أثرا كبيرا في شتى الاتجاهات، و إن كان يؤخذ عليهم التعصب الديني، و كثيرا ما كانوا يطعنون في الإسلام من الخلف تحت تستر الاهتمام بالدراسات العربية، و لكن آثارهم تجلت في : –

قام المستشرقون بتأليف دائرة المعارف الإسلامية و نشرها فقد ظهرت سنة 1908م .

كان لهم دورهم في تأسيس الجامعات العربية و التدريس بها، فوجهوا الدارسين إلى الاتجاهات الجديدة في التدريس و الدراسة . حيث تتلمذ على أيديهم الكثير من رواد الفكر و الأدب في نهضتنا الحديثة وقد نبهوا الشرق إلى عظمة تراثهم فسارعوا إلى حفظه و العناية به و صوروا منه ما كان في مكتبات أوربا ليكون تحت أيديهم .

وقد أنقذ المستشرقون تراثنا العربي من الضياع و حافظوا عليه في مكتبات أوربا الكثيرة.

هذه إذا مجموعة العوامل الموضوعية و الذاتية التي ستفرز الفكر العربي و الأدب العربي. و ستكون عاملا على ولادة كائن جديد في العالم العربي. لقد خضعت الحضارة العربية لجدلية الموت و الحياة ، ذلك القانون الذي يتحكم في كل شيء، و هي الآن تستيقظ من جديد و إن كانت الولادة عسيرة و فترة المخاض طويلة.

و لعل هؤلاء الأقطاب الذين سوف نتعرض لهم هم المساهمون الفعليون في عملية الولادة هذه و هم الذين استطاعوا أن يضعوا الأسس الأولى لفكر و أدب عربيين حديثين.

– فمن هم أقطاب هذه النخبة التي ستقوم على أكتافها النهضة العربية؟

نستخلص من هذه النماذج في تقويم شعر البارودي أن النقاد يرون في شعره ما يلي:–

ا – جلال القديم و فطرته.

ب – الروح العربية الخالدة .

ج – اليقين الكامل باستمرار المجد العربي القديم .

د – الدليل الكامل على أن الحاضر سيتبدّد أمام نور الماضي التّليد.

هـ – الثقة الكاملة بالتراث العربي و الشخصية العربية.

يمكن اعتبار هذه الأحكام صادرة في المقام الأول عن وضع نفسي و قومي ، يواكب هذه الحكام من الناحية الفنية مايلي:–

ا – الصياغة المتقنة.

ب – مجاراة القدماء و محاكاتهم.

ج – الاعتراف بالقدماء على أنهم أنبياء الشعر ،و من ثم الاعتراف بانه لابدّ من متابعتهم و الاستمداد من مناهلهم.

د – احترم القيود القديمة من القواعد النحوية و البلاغية و اللفاظ و الوزن.

هـ – عدم التعقيد في الأسلوب و تمثُّل أفكار القدماء و صورهم و عواطفهم ، لأن العاطفة في نظرهم منشؤها الطبيعة ،و الطبيعة ثابتة لا تتغير ،و من ثم لا مجال لتغيير العواطف ، فالأدب الكلاسيكي (الاتباعي) السليم هو ما التزم عواطف الأقدمين.

تعود إذن تسمية البارودي ب « شاعر النهضة» قياسا الى ما يسمّى بالفترة المظلمة أو «عصر الانحطاط» ،الى الارتباط بالقديم ارتباطا إحيائياً، و كذا الى حركة النهوض السياسي و الثقافي ، و هو ما يعني التخلص من الاستعمار العثماني و الانفتاح على ثقافة الغرب ، و الافادة منها في تطوير الحياة العربية ، مقابل الاتجاهات العثمانية التركية .

و يمكن أن نردّ هذا كله الى اعتبارات نوجزها فيما يلي :-

ا – **الاعتبار القومي**: فقد كان وجود شعر يذكر العرب بتراثهم الشعري القديم في مناخ الظلامية العثمانية ، سبيلا الى الاعتزاز بالذات من جهة و الى الشعور باستمرار هذا التراث و تفوقه من جهة ثانية ، و الى الوعي بان العرب شخصية متميزة لا يمكن أن تقهر أو تطمس ، و كان في شعر البارودي ما يحقق هذا كله من وجهة النظر التقليدية . و كان في مثل هذا الشعر استعادة للتراث العربي الشعري ،تُشعر العربي إزاء الغرب بأن له أدبا خاصا يضاهي أدب الغرب ، و هو لذلك ليس في حاجة الى الغرب من الناحية الأدبية و إن كان في حاجة اليه من الناحية العلمية.

ب – اعتبار الفصاحة كخاصية عربية: كان شعر البارودي أيضا استعادة للفصاحة العربية بشكلها الكلاسيكي ،مما جعل العربي يعتقد أنه شعر يقضي على ما سمته النظرة التقليدية بالركاكة فيما يتعلق بالنتاج الشعري الذي ساد في الفترة المسماة بالفترة المظلمة ،و التي بدأت بسقوط بغداد سنة 1268م .فهذه الفترة مايئة بشعر مصنوع متكلِّف ،فقدَ شرارة الابداع ، و خضع للتصنيع اللفظي و البديعي و نشأ فيها الى جانب ذلك ميلٌ الى هجر اللغة الفصحى و الكتابة باللغة العامية .

ج – **اعتبار المحاكاة:** إن النظرة التقليدية السائدة ، ترى أن للشعر العربي خصائص مطلقة لا تتغير، و أن على الشعراء اللا حقين التمسك الكامل بهذه الخصائص ،كالديباجة القوية و جزالة اللفظ و متانة العبارة و العمودية الخليلية ، و كان البارودي نموذجا محاكيا لهذه الخصائص، خصوصا أن البارودي :-

1 – قرأ الشعر العربي القديم و حفظه.

2 – فهم مقاصده و تمثل مواقع الجمال فيه.

3 – رواه – أي تمثلت ذاكرته، ألفاظه و تراكيبه.

4 – هكذا تكونت سليقته و هكذا يجب أن تتكون سليقة الشاعر.

وعموما فإن معظم الدراسين يتفقون على أن العوامل التي أدت الى نهضة الادب العربي تتمثل فيما يلي:-

- الحظور الفرنسي في القاهرة بين1798 م- 1805م ، و البعثات الى الخارج بدءاً من 1826م.

من الناحية الاولى ، لم يؤثر الحضور الفرنسي في طراز التفكير و حسب ، و إنما أثر كذلك في طراز الحياة .

أما من الناحية الثانية ، فهي إرسال البعثات الى فرنسا بدءاً برفعت رافع الطهطاوي 1801م-1873م ، تابع دراسته هناك و أتقن الفرنسية و قرأ الكثيرا من الأدب و الفكر اليونانيين بالإضافة الى قراءة راسين و فولتير و روسو و مونتسكيو . فقام هذا الاخير فيما بعد بترجمة و تأليف عدد من الكتب عرض فيها أفكاره الجديدة و نظرته الى الحياة من منظور غربي ، يهدف الى تغيير الواقع بما يتفق و حاجات العصر ،فهو يؤكد عدم تعارض بين الموروث العربي و المدنية الحديثة،و يوفق بين الدين و الحضارة ، و عليه فهو يعتبر نموذجا لفكر « النهضة» الذي ساد الحياة العربية الحديثة .

يعتبر شعر البارودي نقطة فصل بين الفترة المظلمة و عصر النهضة الجديد . فمعظم النقاد يرون أن محمود سامي البارودي (1838 - 1904) يمثل بداية النهضة و هو شاعرها الأول .

يقول مصطفى صادق الرافعي : « أما نمط البارودي في النظم ، فهو غاية في العذوبة و جزالة تلعب بالنفس و سلاسة يستريح في ظلها القلب و تستنشق نسيمها الكبد».

و يقول مُحَمَّد مندور « و هذا الشعر العظيم و إن يكن قد تخيَّر لشعره الثوب التقليدي. إلا أنه قد نسج خيوطه من خير ما وصلت إليه لغة الشعر العربي من قوة و جمال...»

و يقول عباس محمود العقاد عنه : « صاحب الفضل الأول في تجديد أسلوب الشعر و إنقاذه من الصناعة و التكلف العقيم ، و ردّه الى صدق الفطرة و سلامة التعبير».

و هكذا يجب أن تتكون سليقة الشاعر من خلال التمسك الكامل بهذه الخصائص كالديباجة القوية ،و جزالة اللفظ و متانة العبارة ،و العمودية الخليلية[4] .

[4] - أدونيس – الثابت و المتحول (3- صدمة الحداثة) ص35 و ما بعدها ط5 – دار الفكر بيروت –لبنان 1986.